المجلة اللاهوتية المصرية ٤ (٢٠١٧): ٨٦–٩٧
http://journal.etsc.org

المجد لله وحده

ثروت وهيب (tharwat@etsc.org)*

إن مجد الله وحده *soli Deo gloria* هو تتويجُ بقيةِ مبادئ الإصلاح (الكتاب المقدس وحده، المسيح وحده، النعمة وحدها، الإيمان وحده). ويمكن اعتبار أن مبدأ لمجد الله وحده هو الصمغ اللاصق لبقية المبادئ الذي يحفظ تماسكها وترابطها. إنه مركز الدائرة الذي يجمع حوله المبادئ الأخرى ويحفظ لها اتحادها واتساقها. فالمسيح هو المركز، ومجدُ الله هو الهدف.

فالمبادئ التي تؤكد أن الخلاص بالمسيح وحده، وبالنعمة وحدها، وبالإيمان وحده، دون أي إضافات بشرية، تؤكد أن المجد لله وحده ولا يشاركه فيه إنسان بأي حال من الأحوال. والمبدأ الذي يؤكد أن الكتاب المقدس وحده هو صاحب السلطان النهائي دون أي عمل وساطة من جانب تقاليد الكنيسة أو الإكليروس الذين قد يضيفون للكلمة أو يفسرونها بحسب أفكارهم هو مبدأ يشدد على التأكيد بأن المجد لا يحق إلا لله وحده. فلو كانت الأدوار البشرية أو التدخلات الكنسية أو البابوية تلعب دورًا في خلاص الإنسان، فإن ذلك يقوض مبدأ أن الله وحده هو الجدير بالمجد. فالله هو الخالق وهو الحافظ وهو المخلص وهو الهدف وغاية الحياة. ولذلك، نقرأ في الكتاب المقدس "ومجدي لا أعطيه لآخر" (إش٤٢: ٨). هذا القول ليس تمرينًا إلهيًا في حب الذات، بل هو إعلان عن طبيعة الكون الذي يكمن أصله وغايته في الله وحده. فالله هو "الكل في الكل".

* تحرير لغوي ماريانا كتكوت.
An English version of this article has been published as: Tharwat Wahab, “Soli Deo Gloria,” *Cairo Journal of Theology* 4 (2017): 35–48, http://journal.etsc.org.

المجد في فكر المصلحين

الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى وعصر النهضة لم تنكر مطلقًا أهمية الكتاب المقدس، أو الإيمان، أو النعمة، أو المسيح لخلاص البشر، بل لقد أكد لاهوتيو هذه الفترة أن هذه المبادئ ضرورية للخلاص. ولكنهم لم يقولوا بأن هذه الأمور وحدها هي التي تجعل الخلاص ممكنًا. ومن ثَمَّ، لم يستخدموا الكلمة اللاتينية *sola* [وحده/وحدها] لوصف هذه المبادئ، وهي ما أصر عليه المصلحون فيما بعد.

ففي الوقت الذي نادى فيه المصلحون بأن الكتاب المقدس وحده هو المرجع النهائي لفهم الحق الروحي، أضاف اللاهوتيون الكاثوليك لسلطة الكتاب المقدس سلطات أخرى تتمثل في تقاليد الكنيسة والبابا. ووقفت هذه السلطات على قدم المساواة مع الكتاب المقدس لكي تفسره، ومن ثَمَّ تزيد على تعاليمه. وفي النهاية لم يعد الكتاب المقدس **وحده** هو السلطة العليا في الكنيسة.

وفي الوقت الذي نادى فيه المصلحون بأن التبرير بالإيمان وحده، عَلَّمَ اللاهوتيون الكاثوليك بأن التبرير بالإيمان وبالأعمال معًا. ومن ثم غَيَّروا فهم الكنيسة للمسيح ولنعمةِ الله تغييرًا جذريًا.

وهم لم يتحدثوا عن مجد الله وحده. ففي الوقت الذي نادى فيه المصلحون بأن المجد لا يُعْطَى إلا لله، نادت الكنيسة الكاثوليكية بأن المجد هو لله ولغيره من الأشخاص، ولأشياء أخرى. فهي لم تنكر فكرة أن المجد هو لله.

ففي مجمع نيقية الثاني (٧٨٧) أقرت الكنيسة مستويات مختلفة من الإكرام المقدَّم في العبادة، ومن ثَمَّ المجد:

(١) لاتريا *latria* هي العبادة التي لا تحق إلا لله وحده.

(٢) هايبردوليا *hyperdulia* هي الإكرام الخاص الذي يحق للعذراء مريم.

(٣) الدوليا *dulia* هي الإكرام الذي يحق لكل القديسين بخلاف العذراء مريم.

وعندما واجه المصلحون هذه التعاليم، طرحوا فهمًا حصريًا للمجد الذي لا يحق إلا لله وحده. فيقول لوثر مثلاً: "إن المجد يعود لله وحده ومن المستحيل أن يشارك الله مجدَه مع أي أحد ليصبح ملكية عامة."

وفي شرح النص الوارد في يو ٦: ٦٥ يقول لوثر إننا نقدم المجد للرب إلهنا في المسيح، وإنه هو وحده له المجد والإكرام. وهو يضيف "إن هذا هو السبب

الذي لأجله يُمَجَّد الإيمان: فهو يستحضر لي الأعمال الإلهية، يا للعظمة. وهذه الأعمال الإلهية تتمثل في عمل الرب يسوع، أي حياته آلامه وموته. وبالمقارنة فإن أعمالنا كبشر هي لا شيء، فنحن مديونون بتقديم المجد والإكرام لله وحده لأنه هو كل شيء، أما نحن فلا شيء."

أما چون كالـڤن فقد تحدث عن المجد في عدة أوجه، ومنها أن مجد الله يظهر في الخليقة التي يصفها كالـڤن بأنها "مسرح للمجد الإلهي"، ففي كل جزء من أجزاء العالم يمكننا أن نرى لمحات من المجد الإلهي. ويضيف "إنك أينما وليت وجهك في هذا العالم فإنه لا يوجد شيء، ولا توجد لحظة واحدة، لا تعكس ولو ومضة من الجمال الإلهي، ولأنه ليس بوسعنا أن نستوعب روعة الأشياء المخلوقة التي تحيط بنا فإننا نندهش من عظمة المجد الهائل الذي للرب إلهنا." رأى كالـڤن كذلك مجد الله في خلق الإنسان على صورةِ الله، كما رآه في إعلان يسوع المسيح وآلامه وموته وقيامته.

ويُعَرِّف المصلح الإنجليزي إدوارد لي Edward Lee (١٦٠٢–١٦٧١) مجد الله بأنه "العظمة اللانهائية للذات الإلهية. إنه عظمةُ الله الحقيقية، بل هو طبيعةُ الله." ويركز هذا المفهوم على المجد الداخلي أو الذاتي لله الذي يقتضي التسبيح والعبادة والإكرام والحب من الجميع. لذلك، فالله مجيد في ذاته لأنه كلي المعرفة، وكلي القدرة، وكلي المحبة. ويذكر لي أيضًا أن مجد الله يظهر في الخارج. وهذا المجد الخارجي يظهر في خلقه للسماوات والأرض، وفي كل ما على الأرض من مخلوقات. كذلك يظهر مجدُ الله عندما يعرف البشرُ والملائكةُ اللهَ ويقدمون له المحبة والطاعة والتسبيح إلى الأبد.

ويتفقُ كالـڤن مع لي في أن تقديم الخليقة بما فيها الإنسان المجد لله لا تضيف عظمة جديدة لله ولكنها تلاحظ مجد الله في كماله وعظمته ومن ثم تظهر التبجيل والتسبيح لشخصه المجيد. وفي هذا الشأن يحث كالـڤن المؤمنين على تمجيدِ الله من خلال العبادة، والسلوك، والشهادة، والحياة العائلية، والتوجهات السياسية. فينبغي أن نتعامل معها جميعًا على النحو الذي يعطي المجد لله وحده. وهذا الحث يهدف إلى تحذيرنا لئلا تضع هذه الممارسات حدودًا للمجدِ الذي ندين به لله ويتحول الأمر إلى التركيز على الإنسان والطريقة التي يمجد بها الله. لذلك، فإن تقديم المجد لله وحده ينبغي أن يتأسس على الله في ذاته وأعماله لا على رد فعل الإنسان لِمَا فَعَلَه الله مسبقًا.

وأول سؤال يرد في كتاب شرح أصول الإيمان الأصغر في إقرار إيمان وستمينستر (١٦٤٦) هو: "ما هي غاية الإنسان العظمى؟" ويأتي الجواب: "غاية الإنسان العظمى هي أن يمجد الله وأن يتمتع به إلى الأبد." لقد ركز شرح أصول الإيمان الوستمنستري على سبب وجود الإنسان. فغرض وجود الإنسان لا يكمن في الإنسان نفسه، بل في الله الذي خلق الإنسان على صورته كشبهه. فحين خلق الله الإنسان كان صورة حقيقية لله وكان هدف وغاية الإنسان بل لَذَّتُه أن يعبد الله ويتمتع بعلاقة الشركة معه. ولكن بالسقوط في الخطية تَحَوَّل تركيز الإنسان من الله إلى نفسه. فبعد السقوط أصبح الإنسان يفكر في كيفية تحقيق العظمة والسعادة بالانفصال عن الله. ومن ثم، أراد أن يكون كالله.

إن الله مجيد في ذاته ولا يمكن لشيء خلقه حتى ولو كان الإنسان أن يصير أمجد من الله، أو يزيدُ الله مجدًا على مجده، بل إن تمجيد الله معناه أن نعكس نحن مجد الله. فالخليقة تُحَدِّث بمجدِ الله وهذه هي غاية وجودها وليس لها اختيار إلا أن تمجد الله.

أما الإنسان فقد منحه الله الامتياز العظيم أن يمجده لأنه يريد أن يفعل ذلك كما فعل المسيح. فالمسيح الذي هو مجدُ الله على الأرض، مَجَّدَ الآب في حياته على الأرض لأنه أراد أن يفعل ذلك. وهذا الامتياز يرتبط بالـ *solas* ارتباطًا مباشرًا. إذًا كل إنسان سواء كان مؤمنًا أم غير مؤمن هو آلة لتمجيدِ الله. ففي المُخَلَّصين يظهر مجدُ الله من خلال رحمته وخلاصه، وفي الهالكين يظهر مجدُ الله أيضًا حينما يحققُ الله عدله بدينونتهم، ومن ثم يقيم العدل. فبالخلاص يتمجدُ الله وكذلك بالدينونة يتمجدُ الله، رغم صعوبة هذه الفكرة وتشعبها.

اللاهوت الكتابي ومجدُ الله

أدى تركيز الإصلاح على مجدِ الله إلى دراسة دقيقة للكتاب المقدس بهدف تتبع مجدِ الله كما يتَكَشَّف تدريجيًا في العهدين القديم والجديد. وبدأت دراسات اللاهوت الكتابي في إلقاء الضوء على معاني مفهوم المجد في الكتاب المقدس، وخاصةً في علاقته بحضورِ الله والعبادة والإرسالية والمسيح يسوع الذي هو ذروة هذا المجد.

وقد استخدم العهد القديم الكلمة العبرية "كابود" (כָּבוֹד) التي تعني حرفيًا "ثقل، أو وزن" وهي تُستخْدَم لوصف الرخاء المادي أو السمعة الحسنة أو

الأصل الطيب لشخصٍ ما. كما تُستخْدَم الكلمة مجازيًا لتصف هموم أمة أو شخص. ولكن الكلمة في العهد القديم، عندما تشير لله، تعني الكرامة السامية، والنبل، والشرف، والمكانة الرفيعة، والسمو، والرفعة، والعظمة، والكمال.

وفي العهد الجديد تُستخدم الكلمة اليونانية *doxa* (δόξα) بمعنى مجدِ الله. وهي مثل كلمة "كابود" العبرية تشير إلى الجلال السامي ولكنها تستخدم في العهد الجديد غالبًا لتصف إعلان طبيعةِ الله بالنعمة من خلال أعماله العظيمة، وبالأساس في وصف إعلان وحضور شخصِ الله في المسيح يسوع، "هو [الابن] بهاء مجده، ورسم جوهره" (عب ١: ٣). وتحمل كلمة *doxa* كل معاني كلمة "كابود" وتزيد عليها معنى إظهار كمال جميل وقوة لامعة وتحمل معنى الإشراق والبهاء والتألق والعظمة.

ويستخدم الكتاب المقدس تعبير مجدِ الله بطريقتين: الأولى باعتباره صفة لازمة من صفاتِ الله، والثانية باعتباره إعلانًا مرئيًا لحضورِ الله وسط شعبه.

فمفهوم المجد، باعتباره صفة لازمة من صفاتِ الله، يحمل مدلولاً أخلاقيًا يشمل القداسة. ومن هنا يُعَبِّر كتبة الأسفار المقدسة عن أسفهم أن الإنسان "يعوزه مجدُ الله" (رو ٣: ٢٣). والكتاب المقدسُ يصفُ الله بأنه "أبو المجد" (أف١: ١٧)، أي مصدر كل مجد، وملك المجد (مز٢)، وإله المجد (أع ٧: ٢)، وهو يعمل كل شيء من "أجل مجد اسمه" (مز ٧٩: ٦؛ إش ١٨: ١١)، وهو غيور على مجده ولا يعطيه لآخر (إش٤٢: ٨). كما تظهر عظمة هذا المجد وتُعْلَن في الطبيعة، وهو موضوع تسبيح وإكرام الإنسان لله.

أما عن استخدام "المجد" بوصفه تعبيرًا عن حضورِ الله، فعبارة "مجد الله" تشير إلى ظهوره في بعض المناسبات التاريخية في العهد القديم. وأحيانًا ما يكون هذا الحضور مصحوبًا ببروق ورعود ونيران، وهو ما يُعَبَّر عنه بالكلمة العبرية "شكينة" (שְׁכִינָה) (انظر خر ٤٠: ٣٤، ٣٧؛ عد ٩: ١٥، ١٦). وقد ظهرت إشارات لهذا الحضور رآها إبراهيم في تنور دخان ومصباح نار (تك ١٥: ١٧)، ورآها موسى في في رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدًا (خر ١٩: ٩، ١٦-١٨؛ ٢٤: ١٥-١٨؛ تث ٥: ٥)، وفي عمود السحاب والنار (خر ١٣: ٢١، ٢٢).

وبعد بناء خيمة الاجتماع ظهر مجدُ الله فوق التابوت الذي أصبح رمزًا لمجدِ الله وعندما أُخِذَ التابوت في زمن عالي الكاهن سَمَّتْ امرأة فينحاس بن عالي الكاهن ابنها "إيخابود"، أي "زال المجد من إسرائيل" (١ صم ٤: ١٩-

٢٢). ولم يظهر المجد مرة أخرى إلا عند تشييد الهيكل، وبعد صلاة سليمان ملأ مجد الرب البيت (٢ أخ ٥: ١٣، ١٤).

وبعد فترة من الزمان ترك مجد الرب الهيكل ومدينة أورشليم والأمة بأسرها. إلا أن الله وَعَدَ بفم حزقيال النبي بإعادة المجد ثانيةً. ولقد عاد المجد في يسوع المسيح الذي "حل بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا" (يو ١: ١٤). ويمتلئ العهد الجديد بعلامات على مجد المسيح الذي يُرى في حياته ومعجزاته وتجليه وتمجيده للآب. ولكن ذلك المجد لم يكن في أي وقت بالروعة التي كان فيها على صليب الجلجثة حيث ظهر إعلانُ الله الكامل عن ذاته. فلقد كان الصليب أعظم تجليات مجدِ الله من خلال إظهار نعمته ومحبته وقداسته وجماله وقوته وسلطانه.

فالمجد الذي للمسيح يظهر أيضًا في آلامه حيث أعلن الله عن محبته للبشر في آلام ابنه. وحضوره مع الإنسان. وفي هذا الحضور المجيد يقدمُ الله للإنسان الشفاء والمساندة والخلاص والرحمة. كما أن هذه الآلام تعبر عن مساندة المسيح للإنسان في آلامه ومشاركته هذه الآلام.

ولكن الأمر لم ينتهِ عند الصليب. ففي النهاية سوف تمتلئ الأرض "من معرفة مجد الرب كما تغطي المياه البحر" (حب ٢: ١٤)، "وسيعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجدِ الله الآب" كما أن المدينة السماوية ستمتلئ "ببهاء مجدِ الله" (رؤ ٢١: ١٠، ١١). ومن ثم، يبلغ مجدُ الله في الكتاب المقدس أعلى قممه في يسوع المسيح.

تطبيقات مفهوم مجدِ الله

يمكن رؤية الفهم المسيحي لمجدِ الله في العبادة، والسلوك، والإرسالية، والتلمذة، ودور الكنيسة، وغيرها. ولكننا سنقتصر في هذه الدراسة على ثلاثة من التطبيقات: سلوك الإنسان، والعبادة، والإرساليات.

١. مجدُ الله وسلوك الإنسان

ربط المصلحون مفهوم مجدِ الله بالسلوك المسيحي الصحيح. فبما أن الله يسكن وسط شعبه بالروح القدس الذي هو روح المجد، فهو يضمن الميراث المجيد الذي للقديسين. والمؤمنون مدعوون لكي يُظهروا مجد الله في سلوكهم، فيرى العالم هذا السلوك ويمجدُ الله. ولذلك، دعا المسيح تلاميذه وكذلك كل المؤمنين أن

يمجدوا الله بحياتهم. وقد كرر الرسول بولس هذه الدعوة عندما حَثَّ الكنيسة على أن تحيا لمجدِ الله. فهو يقول مثلاً "فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئًا، فافعلوا كل شيء لمجدِ الله" (١ كو ١٠: ٣١) (انظر أيضًا أف ١: ٥-١٤).

وإن كانت الخطية هي التقصير في تمجيدِ الله (أعوزهم مجدُ الله)، والعبادة الوثنية هي تقديم المجد الذي لا يحق إلا لله لغيرِ الله (رو ٣: ٢٣؛ ١: ٢٣). فمن ناحية أخرى الإيمان، والتوبة، والطاعة، والثبات عند التجربة كلها تمجدُ الله في حياة المؤمن.

ولقد عَلَّمَ لوثر أن الإنسان يجب أن يعطي المجد لله وحده، وأن يتضع ولا ينسب شيئًا لنفسه كأنه صاحب الفضل في أي شيء. فلقد انتقد لوثر كبراء الإنسان قائلاً فيقول "لا أحد يريد أن يكون لا شيء أو ألا يفعل أي شيء، بل كل شخص مكتفٍ وسعيد بنفسه، ومن هنا تأتي كل المشاكل والاضطرابات على الأرض."

ولقد آمن لوثر أن مفتاح إقامة السلام على الأرض يكمن في إنكار الإنسان لنفسه وتقديم المجد كله لله. وفي هذا المعنى يقول لوثر:

سوف يقل السلام على الأرض إذا لم يُعطَ المجد لله. وكما يقول سليمان الحكيم إن "الخصام إنما يصير بالكبرياء" (أم ١٣: ١٠)، من المحتم أن يكون هناك سلام على الأرض حينما يكون مجدُ الله مدرَكًا. لماذا ينزعج الناس إذا كانوا يعلمون أن لا شيء من عندهم بل أن كل شيء هم عليه أو يمتلكونه أو يستطيعون عمله فإنما يأتي من عندِ الله؟ عليهم أن يفرحوا ويسعدوا لأن لهم إلهًا كريمًا."

ويحثنا إقرار إيمان وستمينستر على أن نمجد الله في كل شيء. فتمجيدُ الله لا يأتي فقط من الممارسات التي نسميها روحية كالترنيم أو خدمة الآخرين أو الكرازة بالإنجيل أو غيرها من الأنشطة، ولكن كل مسيحي مدعو أن يمجد الله من خلال الأعمال اليومية في المصنع، أو الشركة، أو المدرسة، أو أي عمل يقوم به. فالإنسان الذي يرغب في تمجيدِ الله يجب أن يحاول أن يؤدي كل نشاط بالشكل المرضي في نظرِ الله. فإتقان العمل وحتى الاستمتاع بالتسلية اللائقة يجب أن يمجدا الله تمامًا كما ترضيه العبادة في يوم الرب أو الشهادة لغير المؤمنين. لذلك، على المسيحيين أن يجتهدوا أن يعيشوا تلاميذ في كل ما يفعلون

حتى يُرى الله ويتمجد في كل جوانب حياتهم. إن كل ما في حياة المسيحي يجب أن يُكْرِم الله ويمجد اسمه. وكل ما يفعله المسيحي يجب أن يكون في المسيح.

إن واحدة من أشد الضربات التي قد تُضرَب بها الكنيسة هي أن يتحول المجد من الله للإنسان. فحينما نغتصب من الله مكانته بصفته مركز حياة الكنيسة ونضع أنفسنا في هذا المركز فنحن نسلب من الله مجده.

إن "مركزية الذات" تدمر المجتمعات والكنائس. فالمؤمن أو الخادم أو القائد الذي يجعل من نفسه مركز الاهتمام ويسعى أن تسلط الأضواء على شخصه أو مواهبه أو إنجازاته يسلب من الله مجده. ففي كل مواقع الخدمة ينبغي أن يكون التركيز على ما يمكن أن أقدمه كخادم لتحقيق الدعوة التي دعاني الله بها، لا على ما يمكنني أن أحصل عليه من امتيازات، أو مكانة، أو منافع مالية أو غيرها. فإن كانت خدمة الشخص موجَّهة نحو إنجازاته، وإن كان يحاول أن يجذب كل الانتباه إليه، وإن كانت كل الأهداف تشير إليه، وإن كان كل المجد يهدف إلى رفعة اسمه، فالله لن يُسَرّ. فالله غيور على مجده وفي كل مرة حاول شخصٌ ما في الكتاب المقدس (مثل نبوخذ نصر، أو هيرودس، أو غيرهما من الملوك) أن يسلب من الله مجده نال عقاب الله فورًا. وبصفتنا مسيحيين مخلصين، علينا ألا نسلب من الله مجده، فهو الوحيد الذي ينبغي أن يكون "المجد له وحده" *soli Deo gloria*.

٢. مجدُ الله والعبادة

كتب كلٌّ من يوهان سيباستيان باخ Johann Sebastian Bach وچورچ فردريك هاندل George Frideric Handel تحت مقطوعاتهم الموسيقية الحروف SDG (*Soli Deo Gloria*، المجد لله وحده). لقد أدركا أن العبادة التي تمجدُ الله وحده هي هدف الكنيسة الأسمى، وهي ما يتوقُ الله إليه في شعبه. فأثناء العبادة، تتضع الكنيسة أمام سيدها جماعةً وأفرادًا. وفي العبادة تقدم الكنيسة لله الإجلال والإكرام والمجد اللائق به. في العبادة يتحول التركيز بالكامل إلى الله وشخصه وما يقدمه لنا في ابنه يسوع المسيح. وفي العبادة تحتفل الكنيسة بمجدِ الله من خلال تسبيح شخصه. وفي العبادة تتذكر الكنيسة كلماتِ الله في الكتاب المقدس وتعلن خضوعها له ولكلمته. وفي العبادة تشهد الكنيسة للعالم عن حقيقة إلهها، فكل فرصة عبادة يجب أن تحمل مضمونًا كرازيًا يخبر من "هم من خارج" عن الإله الذي تعبده الكنيسة، إذ تظهر العبادة مجده ومحبته

ونعمته وخلاصه في المسيح يسوع. وفي العبادة يظهر حضورُ الله روحيًا ليفرح شعبُه وتظهر أعماله فيهم. وفي العبادة خدمة تقدمها الكنيسة وذبيحة ترفعها من خلال التسبيح والعطاء والخدمة.

وفي أيامنا هذه يحدث خلط كبير بين العبادة التي مركزها الله والعبادة التي مركزها الإنسان. ففي العبادة التي مركزها الله يأتي تمجيدُ الله ليكون الهدف الوحيد لهذه العبادة (١ كو ١٠: ٣١). ولكن العبادة التي مركزها الإنسان تستحضر الإنسان ليعبد الله. ورغم نبل هذا الهدف، يجب ألا يكون الهدف الأسمى للعبادة.

والعبادة التي مركزها الله ينبغي تُرضى الله لا الإنسان. ويمكن التعرف على العبادة التي تركز على الله من محتواها وتوجهاتها. فمثلاً، العبادة المتمركزة في الله تتضمن الكرازة باعتبارها جزءًا من خدمة العبادة. ولكنها لا تكون هدف العبادة، بل تشكل جزءًا ملحوظًا من الخدمة.

والإنجيل المقدم في العبادة يجب أن يركز على رسالة الصليب والألم الذي تحَمَّلَه حملُ الله في موته. أما العبادة التي مركزها الإنسان فتقدم إنجيلاً سهلاً لا يتحدث عن فساد الإنسان والخطية والصليب، فالإنجيل الذي لا يتناول مشكلة الخطية هو إنجيل يحاول أن يُرضى الإنسان.

والعبادة التي مركزها الله يكون فيها لجمهور الحاضرين اهتمام واحد وهو الله، فهو الذي ينبغي أن تتجه له القلوب لإرضائه وتقديم عبادة لائقة في كل شيء. ولكن العبادة التي مركزها الإنسان تهدف إلى الترفيه الذي يسعى إلى أن يُشعر المتعبدين بالسعادة والفرح.

في العبادة التي مركزها الله يُعَبِّر المتعبدون عن حاجتهم لله وحده. أما في العبادة التي مركزها الإنسان تأتي احتياجات بل رغبات الناس الأرضية أولاً دون التركيز على أن حاجة الإنسان الحقيقية لا إلى الأشياء ولكن إلى الله وحده، أو دون أي ذِكر لها على الإطلاق. فبما أن الإنسان مخلوق على صورةِ الله، فهو يستمد قيمته النهائية من هذه الصورة الإلهية. أما العبادة التي تركز على قيمة الإنسان بالانفصال عن الله تخطئ الهدف، فهي تحاول أن ترفع الإنسان، رغم أن الله هو الذي يستحق أن نرفعه.

لذا، فالدعوة للعبادة التي تُقدَّم في الخدمة هي دعوة لتمجيدِ الله وحده. وهي يمكن أن تشتمل على الاحتفال والشهادة ولكنها لابد أن تشهد دائمًا عن الله الممجَّد الذي يسكن في وسط شعبه.

٣. مجدُ الله والإرسالية

تَطَوَّر اللاهوت المرسلي بعد الإصلاح تطورًا كبيرًا وواحد من أهم عناصر اللاهوت المرسلي الجديد هو التركيز على العلاقة بين الإرسالية ومجدِ الله. ويمكننا أن نجد ترابطًا كبيرًا بين مفاهيم مجدِ الله (التي سبق التعرض إليها في هذه الدراسة سواء في الخليقة أم الخلاص أم العبادة أم التمجيد) ومفهوم إرساليةِ الله للأمم. فاللاهوت المرسلي يؤكد أن تمجيد الله هو الهدف الأسمى للإرسالية.

وعُرِف هذا المفهوم عن الإرسالية باعتبارها تمجيدًا لله منذ وَضَعَ جيسبرتس ڤوتيوس Gisbertus Voetius (١٥٨٩–١٦٧٦) هدفًا ثلاثيًا للإرسالية يشمل: تجديد الخطاة، وزرع الكنائس، وإعلان وتمجيد النعمة الإلهية. إلا أن اللاهوتي الهولندي المعاصر چان چونجنيل Jan Jongeneel يعتبر أن هذا الهدف الثلاثي هو تعديل للهدف الأساسي للإرسالية الذي يحدده بأنه التجديد، وزرع الكنائس، وإعادة تجميع المؤمنين المضطهدين، وإعادة تأسيس الكنائس الضعيفة، وتوحيد المنقسمة (بما في ذلك التعضيد المادي.

وقد شاع في الكنيسة الحديثة مفهوم "إرساليةِ الله" *mission Dei*. ووفقًا لهذا المفهوم، الإرسالية هي طبيعةُ الله وهو مصدرها. والمسيحيون مدعوون ليعملوا مع الله تحقيقًا لإرساليته التي تتضمن هدف تمجيدِ الله وحده. وهذا التعليم يركز على أن مجد الله هو الهدف الأسمى. إنه تعبير عن إرادةِ الله نحو الإنسان. والغرض الرئيسي من الكنيسة ومن الهيئات المرسلية هو تحقيق قصدِ الله.

وفي مطلع القرن التاسع عشر بدا أن التركيز على مجدِ الله والإرسالية بدأ يسقط من الكثير من العظات، وحل محله إنجيل التجديد الشخصي الفردي. إلا أن بعض اللاهوتيين المؤثرين منذ هذه الحقبة وقبلها أكدوا محورية الإرسالية بكل قوة. ويقول اللاهوتي يوهان هيرمان باڤينك Johan Herman Bavinck إن "الله هو هدف الإرسالية التي تحقق مجده وملكوته" وكذلك چون كالـڤن يشير إلى أن مجد الله هو جوهر الإرسالية. ويقول لامين سانيه Lamin Sanneh "إن مشاركة الكنيسة في الخلاص هي عمل الكنيسة المجيد. فبهذه المشاركة يعود المجد لله."

جاء في البند الثاني في إعلان فرانكفورت Frankfurt Declaration الإنجيلي حول الإرسالية أن "الهدف الأول والأسمى للإرسالية هو تمجيد اسمِ الله الواحد في العالم بأسره، وإعلان سيادة الرب يسوع المسيح ابنه." ويشير پيتر بايرهاوز Peter Beyerhaus المشارك الرئيسي في وضع إعلان

فرانكفورت أن الهدف الأساسي من مواعيد الكتاب المقدس ليس سداد احتياجات البشر الروحية والمادية، لكن الهدف الأول هو الله الخالق العظيم والمُخَلِّص الأعظم. وهكذا فإرسال الكنيسة للعالم يُقْصَد به أولاً وقبل كل شيء تمجيد الإله مثلث الأقانيم. وإن أردنا أن يتناغم اللاهوت المرسلي مع الكتاب المقدس فإن تمجيد الله لابد أن يحتل مركز الصدارة في لاهوتنا وممارستنا. لقد تَطَوَّرت دراسة الإرسالية لا باعتبارها استجابة لدعوةِ الله لشعبه للقيام بالمأمورية العظمى، أو رغبة في المشاركة بإنجيل الخلاص الشخصي السعي نحو خلاص الخطاة فحسب، ولكنها ركزت على العلاقة التي تربط بين الإرسالية والعبادة ومجدِ الله.

ففي هذا الصدد يركز چون پايپر John Piper على أن "الإرسالية ليست هدف الكنيسة. ولكن العبادة هي الهدف، فالعبادة هي وقود الإرسالية وهدفها." ويضيف "إن التاريخ كله يتحرك تجاه هدف سامٍ واحد هو العبادة الحارة للآب والابن بين كل شعوب الأرض. والإرسالية ليست هي الهدف بل الوسيلة لتحقيقه. لذا، فالإرسالية هي ثاني أعظم نشاط بشري في العالم."

لذلك، من العبارات الشهيرة في اللاهوت المرسلي هي أن "نمجد الله ونجعله مجيدًا، أن نعبد الله ونجعله معبودًا." وهنا العبارة لا تأتي بمعنى الترنيم أو غيره من الممارسات الشائعة في العبادة. ولكن العبادة هي اختبار روحي يتسم بالشركة والتناغم والتواصل مع الله. وفي هذا المعنى يضيف كريستوفر رايت Christopher Wright أن "الإرسالية موجودة بسبب وجود العبادة، وعبادة الكنيسة يتم تنشيطها وتحصل على تميزها من خلال الإرسالية. وتُذَكِّر العبادة باستمرار بضرورة الإرسالية وحتميتها كتجاوب وكامتداد لإرساليةِ الله المسبقة، تمامًا كما أن عبادتنا وتسبيحنا هما تجاوب لعمل الله المسبق."

فالإرسالية تنبع من مجدِ الله وتُرجع إليه هذا المجد. وتمجيدُ الله يمثل الهدف الرئيسي والأسمى للإرسالية وكل أنشطتها وعناصرها. وفي هذا يقول مايكل جرين Michael Green "إن نمو الكنيسة وخلاص النفوس، وإضفاء الطابع الإنساني على المجتمع ليست هي الأهداف الحقيقية للإرسالية لكن تمجيد الله على الأرض كما في السماء."

الخاتمة

لكي ننجح ككنيسة في تمجيدِ الله، سواء في بلدنا أم في العالم ككل، علينا أن نكون مُخْلِصين لمبدأ "المجد لله وحده". علينا أن نطبقه في حياتنا الشخصية بصفتنا تلاميذ للمسيح ونحرص على تجسيده في حياة الكنيسة. وأهم شيء أن تُطَبِّق الكنيسة هذا المبدأ عمليًا في التزامها بإرساليةِ الله لأن العمل المرسلي أمر لا يمكن الاستغناء عنه في الكنيسة إن أرادت أن تحقق غرضَ الله من وجودها. وهو ما أوضحه الرسول بولس بكل جلاء قائلاً: "لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء، ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب، **لمجد الله الآب**" (الخط الأسود العريض من إضافة الكاتب، في ٢: ١٠، ١١).

ثروت وهيب هو أستاذ اللاهوت المرسلي في كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة.